

مفسر القرآن الشيخ أمين أحسن الإصلاحي و فكره الديني

الدكتور الحافظ عبدالرحيم*

منطقة الشيخ أمين الإصلاحي

كان فضيلة الشيخ الإمام المفكر الإصلاحي ينتمي إلى مديرية "اعظم جره" (١) التي تقع في الولاية الشمالية الهندية، وهذه المديرية مشهورة بظهور العلماء والباحثين الذين أسهموا في نشر العلوم الدينية والعلوم العربية وإنشاء المراكز والمدارس العربية الإسلامية والكتاب في مدنها وقراها. فيمكننا أن نسبها بـ "أرض المفكرين العباقرة" لما أنها أنجبت عدداً هائلاً من الأعلام والأدباء والخبراء في المجالات المختلفة.

لقد اهتم أهالي اعظم جره بالعلم والأدب والثقافة، كما يشهد على ذلك عدد كبير من المدارس والمراكز التي تنشر الثقافة الإسلامية، فمثلاً نجد في إحدى مدنها مدينة "ميو" خمس عشرة مدرسة عربية لخدمة العلوم العربية والشرعية.

ومن أشهر مدنها مدينة "مباركفور" وهي التي اشتهرت بنبوغ العلماء والباحثين ومن أجلهم:

- (١) المحدث الشهير العلامة عبدالرحمن المباركفوري المتوفي سنة ١٩٣٥م صاحب "تحفة الأحوذى في شرح الترمذي". وكانت تشد إليه الرحال من الأقطار. (٢)

* المحاضر بقسم اللغة العربية ، جامعة بهاء الدين زكريا، ملتان

- (٢) العلامة شبلي النعماني المتوفي سنة ١٩١٤م صاحب المؤلفات العلمية بالأردنية ومن أشهر مؤلفاته "سيرة النبي".
- (٣) المفسر الشهير الشيخ عبد الحميد الفراهي المتوفي سنة ١٩٣٠م صاحب "تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالقرآن".
- (٤) المحدث الكبير حبيب الرحمن الأعظمي (٣)
- (٥) الدكتور مصطفى الأعظمي

مولده وثقافته:

ولد فضيلة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي بن الحافظ محمد مرتضى بقرية "مهور" من ضواحي اعظم جره سنة ١٩٠٤م. وقد تخرج فضيلته في "مدرسة الإصلاح" (٤). بمنطقه "سرائي مير" وهي التي أنشأه الشيخ محمد شفيق أحد أعضاء "جمعية إصلاح المسلمين" في العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري في أرض غير ذي زرع. ووضع العلامة شبلي النعماني أحد زعماء الفكر الإسلامي أهداف هذه المدرسة ومناهجها ومقرراتها و لوائحها مبدئياً ثم أكمل هذا العمل المبارك بعد وفاة شبلي عبد الحميد الفراهي ابن خاله بصورة نهائية (٥).

شيوخه:

- ١- الشيخ عبد الحميد الفراهي وهو الذي تلقى منه الإصلاحي علم التفسير ولم يزل ملازماً له إلى أن توفي سنة ١٣٤٩/١٩٣٠هـ (٦) وكان يمتاز برسوخه في الادب العربي. وكان يدرس في مدرسة الإصلاح.
- ٢- الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري المتوفي سنة ١٩٣٥م وهو الذي تلقى منه علم الحديث (٧).

من أشهر تلاميذه:

فضيلة الأستاذ جاويد أحمد غامدي الذي يبذل جهوده المضنية لخدمة الإسلام والمسلمين متمشياً بقيام تطوير أفكار شيخه منذ فترة طويلة.
أعماله العلمية:

وددت أن أتطرق إلى بحث أعمال الشيخ الإصلاحى التي أنتجها بأشكال مختلفة في الميادين الدينية والعلمية والأدبية والثقافية تخليداً لذكراه العطرة وهي تلخص فيما يلي:

— مقاومته للمبتدعين

لقد قام فضيلته بالتصدى للمبتدعين وبدعهم، فقاومهم وقاوم بدعهم بموعظة حسنة وحكمة بالغة.

— عمل مدرساً للعلوم العربية والشرعية وخاصة علم التفسير في مدرسة "الإصلاح" من سنة ١٩٢٥م حتى سنة ١٩٤٠م وكان أكثر تركيز تلاميذه على فهم القرآن وتدبر آياته مع تدريسهم القواعد العربية والأدب العربي

— نشر كتب شيخه الفراهي

اعتنى الإصلاحى بنشر كتب شيخه الفراهي وبرزمتها إلى اللغة الأرمية.

— إصدار مجلة علمية شهرية

فأصدر الشيخ الإصلاحى مجلة علمية شهرية باسم "الإصلاح" نسبة إلى مدرسة "الإصلاح" التي تخرج فيها سنة ١٩٣٦م. كذلك أصدر مجلة شهرية أخرى باسم: "الميثاق" لمدة ثماني سنوات. ثم تولى إصدارها سعادة الدكتور إسرار أحمد أمير: "التنظيم الإسلامى الباكستانى"، ويستمر في إصدارها حتى الآن

— إنشاء مجمع تدبر القرآن والحديث:

أنشأ الشيخ الإصلاحي هذا المجمع ذا الأهداف السامية سنة ١٩٨٠م. فاختير رئيساً له وظل رئيساً منذ إنشائه حتى وفاته. ويؤدي هذا المجمع العلمي دوراً كبيراً لنشر وتطور الفكر الإسلامي والثقافي. ويصدر مجلة شهرية باسم: "تدبر" ومديرها الأستاذ/خالد مسعود باحث في مكتبة القائد الأعظم بلاهور. كما أنه ينشر الكتب الإسلامية.

الشيخ الإصلاحي كعضو الجماعة الإسلامية

لقد عيّن الشيخ عضواً رئيسياً للجماعة الإسلامية التي أسسها الأستاذ المفكر الإسلامي أبو الأعلى المودودي المتوفي سنة ١٩٧٩م بالهند سنة ١٩٤٠م. حتى كان يعتبر الرجل الثاني في قيادة الجماعة بعد مؤسسها. فتاب عنه كأمر الجماعة عدة مرات.

استقالته من عضوية الجماعة الإسلامية.

الشيخ الإصلاحي صاحب "تفسير تدبر قرآن" والشيخ عبدالرحيم أشرف مدير جامعة التعليمات، فيصل آباد. والشيخ عبدالغفار حسن أستاذ الحديث بالمدينة المنورة سابقاً. والشيخ عبدالجبار غازي، هؤلاء هم الذين كانوا من أوائل الجماعة الإسلامية. يعتبرون رجال القيادة الفكرية للجماعة. وأمضى الإصلاحي في الجماعة ١٧ سنة. قدّم الشيخ الإصلاحي وزملائهم لما اختلفوا جميعاً مع الشيخ المودودي عن اتخاذ قراره بأن الجماعة تخوض الانتخابات العامة في باكستان سنة ١٩٥٧م. وكان رأيهم أن يكون التركيز على تربية الشعب وخاصة الشباب المثقف على دين الإسلام لتهيئة الجو الإسلامي في الدولة بصورة خاصة. وذلك يؤدي جميع المواطنين إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في الوطن.

مؤلفاته

لقد ركّز الشيخ الإصلاحي بعد استقالته من الجماعة اهتمامه البالغ وعنايته الفائقة على البحث والدراسة والتأليف، فأكبّ على خدمة كتاب الله العزيز الخالد. ولعب دوراً هاماً في نشر تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية. وتوجيه المثقفين إلى حقيقة روحية دينية، فيمكن لنا أن نقول حقاً إنه عالم كبير متبحر في العلم والشريعة والأدب والثقافة بعصره. وخاصة أنه ملم باللغة العربية وآدابها. وشغل طول حياته للاستفادة من الكتاب والسنة، وإفادتهما لأبناء وبنات وطنه فارغاً من فكرة لقمة العيش، لأن زوجته كانت تملك الأرض الزراعية التي يكفي إنتاجها لتغطية حوائجه.

وتتماز مؤلفاته بالإصالة والتدبر والفكر والاستيعاب، وقوة الأسلوب، وجزالة البيان، واستنكاك الحقائق والأسرار والغوص في المعاني الرفيعة والمفاهيم السامية.

وها هي قائمة مؤلفاته القيمة:

- ١- تدبر قرآن
- ٢- مبادئ تدبر قرآن
- ٣- مبادئ تدبر حديث
- ٤- حقيقة الشرك والتوحيد
- ٥- حقيقة الصلاة
- ٦- حقيقة التقوى
- ٧- الدعوة إلى الدين وأسلوبها
- ٨- تدوين القانون الإسلامي
- ٩- الدولة الإسلامية
- ١٠- حل الاختلافات الفقهية في الدولة الإسلامية

- ١١- تزكية النفس
 - ١٢- مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي
 - ١٣- أحكام الحجاب في القرآن الكريم
 - ١٤- نقديات (النقد)
 - ١٥- توضيحات
 - ١٦- التعليق على تقدير قانون الأسرة
 - ١٧- مقالات الاصلاحى
 - ١٨- المسائل الأساسية للفلسفة في ضوء القرآن الكريم
 - ١٩- تفهيم الدين
- فالت مؤلفاته العلمية منزلة رفيعة سامية بين الباحثين والمثقفين.

تفسير تدبر قرآن

تفسير تدبر قرآن من أبرز مؤلفات الشيخ الإصلاحي طبع عدة مرات (٨) ذكر الإصلاحي عدة طرق للتفسير مثل طريقة المحدثين وأهل الرواية، وطريقة المتكلمين، وطريقة المقلدين، وطريقة المتجددين مع النقد والتحليل لهذه الطرق ثم ذكر الأصول الصحيحة للتفسير وقسمها إلى قسمين.

القسم الأول: الأصول القطعية للتفسير وهي أربعة:

- ١- اللغة العربية
- ٢- نظم القرآن
- ٣- تفسير القرآن بالقرآن
- ٤- تفسير القرآن بالأحاديث المتواترة

القسم الثاني: الأصول الظنية للتفسير منها:

١- الأحاديث وآثار الصحابة

٢- أسباب النزول

٣- تاريخ الأمم السابقة

٤- الكتب السماوية السابقة

والحق أنه سار على نهج تفسير شيخه الفراهي وطور فكره الديني وخاصة ألف تفسيراً ضخماً (تسعة مجلدات) باسم تدبر قرآن مستفاداً من منهج تفسير شيخه الفراهي.

وكان فضيلة الشيخ الإصلاحي يتقن اللغة العربية بآدابها وفروعها، وخاصة الأدب العربي القديم، وتفسيره يعتمد على ديوان العرب، وهو الأدب العربي القديم، حيث كان اهتمامه البالغ في تفسيره بتدبر آيات القرآن الكريم ومعرفة الارتباط البياني والمعنوي بين آياته وسوره. والغوص في دقة حكمه وعمق أسرارهِ حتى صارت مدرسته هذه مدرسة فكرية أساسها الدعوة إلى تفكر وتدبر القرآن الكريم لمعرفة حكمه وأسراره. كما أنه يركز على أن الترتيب الحالي يشتمل على حكم وأسرار كثيرة. وذلك يدعو العلماء والباحثين والمفكرين إلى أن يتدبروها، لأنه أمر لم يحدث صدفة لكنه أمر به الوحي الإلهي. فالربط بين السور في الترتيب وبين الآيات مع اختلاف مدة نزولها وزمنها كل ذلك سرٌّ من الأسرار يجب الوقوف عليها.

وقد وقف الله سبحانه وتعالى الشيخ الإصلاحي بالقدرة على تدوين أفكاره ومعارفه المميزة بالإصالة الفكرية والابتكار والمقارنة بين الإسلام والديانات الأخرى والأفكار الغريبة.

لقد رفع الشيخ الإصلاحى الشبهة التى تدور حول الآيات القرآنية. وهى أن الآيات غير مرتبطة وثبت الشيخ موقفه من نظرية النظم القرآنى حيث يقول: لو فهم القرآن الكريم على ضوء أسباب نزول سورة وآياته. ونظم كلامه اتضحت معانيه ومطالبه بأحسن أسلوب.

وحظى تفسيره مكانة عظمى بين كتب التفاسير باللغة الأردية فى شبه القارة الهندية الباكستانية إلّا أن صاحبه أورد فيه بعض الشواذ والتفردات التى تخالف منهج السلف وبعض الأحاديث الصحيحة.

هنا يجدر بالذكر أن زميلي الأخ الفاضل/ الحافظ افتخار أحمد قام بدراسة تفسير تدبر قرآن "كموضوع رسالة الدكتوراه عنوانها: "الشيخ أمين أحسن الإصلاحى ومنهجه فى تدبر قرآن" لنيل درجة الدكتوراه من قسم الدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بهاولبور (باكستان).

كان فضيلة الامام المفكر يعدّ من طليعة علماء الهند وباكستان - الذين ساهموا مساهمة فعالة فى خدمة العلم والدين والثقافة واللغة العربية فى أنحاء الدولة وخارجها.

عاش فى مدينة لاهور بعد استقلال باكستان وفيها توفى. فانتقل المفسر العظيم إلى رحاب ربّه ورحمته ورضوانه صباح يوم الاثنين ١٤ من شهر ديسمبر ١٩٩٧م.

وأدعوا لله سبحانه وتعالى أن يغفره ويرحمه ويرفع درجاته فى الجنة. آمين-

الهوامش والمصادر

- ١- تكتب هذه الكلمة باللغة الأردية هكذا: " أعظم كزه " . وهي اسم مركب من كلمتين: "اعظم" و "كزه" معناه " حصن " أنشئت هذه المديرية حديثاً كما يقول العلامة سيد سليمان الندوي:
 "إنها أنشئت على تخطيط حديث في عهد الاستعمار البريطاني، لكنها معروفة منذ الزمن القديم. وتنقسم إلى قسمين: القسم الأول استوطنت فيه الطبقة الهندوكية المعروفة به "قبيلة راجبوت" والقسم الثاني عاش فيه المسلمون الذين هاجروا إليه من البلاد الإسلامية أو المدن الإسلامية. ولا يزالون يعيشون فيه وهم يسمّون به "قبيلة الملوكي" (راجع حياة شبلي، سيد سليمان الندوي، دار المصنّفين، أعظم جره، الهند ص: ٥٥).
- ٢- وفيات الأعيان، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، دار صادر بيروت، ص: ٦١٢ الكامل في التاريخ لابن الأثير، دار الفكر بيروت: ٤٦٠/٧.
 شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، المكتب التجاري بيروت: ص ١٧٤ - ١٧٥، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني دار صادر بيروت ١٩٦٨ م - ٣٨٧ - ٣٨٩.
- ٣- الأعظمي نسبة إلى أعظم جره
- ٤- مدرسة الإصلاح هي التي نسب إليها الشيخ أمين كالأصلاح.

٥- مدرسة الإصلاح تاريخها ونظامها ومنهجها، مطبعة الكوثر سرائي
مير، اعظم جره، الهند

٦- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، عبدالحى الحسيني طبع
حيدرآباد- دكن، الهند ٨/٢٢٩-٢٣٠.

٧- المصدر نفسه ٨/٢٤٢-٢٤٣.
